

المحاضرة الثالثة : البعثة النبوية

ولما بلغ μ أربعين سنة جاءه جبريل عليه السلام بالوحي من ربه وهو في غار حراء ، ثم فتر الوحي عن رسول الله μ فترة، ثم عاد الوحي بعد ذلك ، وظل بعد ذلك النبي μ يدعو إلى الله سرًا ثلاث سنوات. فأسلم السابقون الأولون مثل خديجة وعلي وزيد وأبي بكر وغيرهم رضي الله عنهم . ثم جاء الأمر بالجهر بالدعوة فعاداه قومه .

نزل الوحي الأمين :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ μ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً .

قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - : أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ μ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْهُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بَعَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ- وَهُوَ التَّعَبِدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ- قَبْلَ أَنْ يَنْزَحَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَنْزَوُدَ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَنْزَوُدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: أَقْرَأْ. قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِي، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: أَقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِي، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: أَقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِي، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) } [العلق: 1 - 3] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ μ يَرْجُفُ فَوَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رضي الله عنها - فَقَالَ: "زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي" فَرَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لَخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: "لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي" فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُرَى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ μ حَبْرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرَجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "أَوْ مُخْرَجِي هُمْ؟" قَالَ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْسَبْ وَرَقَةَ أَنْ نُورِّقِي وَفَنَّرَ الْوَحْيُ.

وكان نزول الوحي عليه μ في المرة الأولى يوم الاثنين، فإن النبي μ سئل عن سبب صيامه ليوم الاثنين قال: "ذلك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت أو أنزل عليّ فيه" . وكان ذلك في شهر رمضان.

فترة الوحي:

عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "ثُمَّ قَتَرَ عَنِّي الْوَحْيُ فَتْرَةً" ولم يذكر النبي ﷺ كم كانت مدة فترة الوحي، واختلفت فيه أقوال العلماء اختلافًا شديدًا. ثم حدث النبي ﷺ عن عودة الوحي إليه مرة أخرى فقال: "فَبَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِجَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجِئْتُ (2) مِنْهُ رُغْبًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي فَدَنَرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1)} إِلَى {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5)} [المدثر: 1 - 5] ثم حمي الوحي وتتابع".

الدعوة السرية :

فلما نزلت يا أيها المدثر كان إيذانًا له ﷺ ببدء الدعوة إلى الله، فبدأ النبي ﷺ يدعو إلى الله سرًا حفاظًا منه على الدعوة وعلى من معه من المؤمنين وهم قلة، وحتى لا يعلم المشركون بذلك فيقضون علي الدعوة في مهدها.

المسلمون الأوائل:

فكانت خديجة - رضي الله عنها - أول من دعاها النبي ﷺ إلى الإسلام فأسلمت، وكان أول من أسلم من الغلمان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ، وكان ابن ثمانين سنين، وقيل أكثر من ذلك، وكان من سابق سعادته أنه كان في كفاله رسول الله ﷺ ، وكان أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ ، وكان غلامًا لخديجة فوهبته لرسول الله ﷺ لما تزوجها. وكان أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أول من أسلم من الرجال ، يقول ﷺ : "إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ ...". فكان الصديق - رضي الله عنه - أول داعية في الإسلام. وكان ببركة إسلامه ودعوته ثلثة مباركة دخلت في الدين وكانت من السابقين الأولين وكان لها في الإسلام أعظم بئذ وبلاء، فرضي الله عنهم أجمعين، منهم عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ذو النورين والزبير بن العوام وهو حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص خال المصطفى ﷺ ، وطلحة بن عبيد الله وكل هؤلاء الذين دخلوا الإسلام على يد أبي بكر من العشرة المبشرين رضي الله عنهم أجمعين.

ثم دخل بعد هذه الثلثة الفاضلة التي سبقت لها السعادة وسبقت إلى الإيمان والعبادة، ثلثة أخرى كريمة فاضلة منهم أبو عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة، وسعيد بن زيد من العشرة المبشرين، وخباب بن الأرت، وعبد الله بن مسعود، وأسماء، وعائشة، وقد أسلمت عائشة - رضي الله عنها - وهي طفلة صغيرة، أما أسماء فكانت متزوجة بالزبير بن العوام وتوالى إسلام الأفاضل من قريش، فأسلم جعفر بن أبي طالب، وامراته أسماء

بنت عميس، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مظعون، وعمار بن ياسر، وصهيب بن سنان الرومي. وكان من السابقين بلال بن رباح، وعمر بن عبسه السلمي، وياسر وسمية والدا عمار، والمقداد بن الأسود- رضي الله عنهم - .

الدعوة الجهرية :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} صَعِدَ

النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي: "يَابَنِي فَهْرُ يَابَنِي عَدِيَّ" - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟" قَالُوا: نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: "فَأِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَزَلْتُ {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) {المسد: 1 - 2} .

ثم شمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ساعديه، وألقى النوم والراحة وراء ظهره، وأخذ يدعو إلى الله وإلى دين ربه عز وجل فهو لا يريد أن يضيع لحظة واحدة في غير الدعوة إلى الله. ولم تكن الدعوة سهلة يسيرة، ولم يكن طريقها مفروش بالورود، بل إن النبي ﷺ قد واجه من الصعوبات والمشقة ما لا يتحملة غيره، وصدق الله تعالى إذ يقول: {إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا نَفِيلاً (5)} [المزمل: 5].

سبب صعوبة الدعوة:

وكان سبب هذه الصعوبات أن النبي ﷺ بُعث على فترة من الرسل حتى إن كفار قريش قد ورثوا عبادة الأصنام والأوثان كإبراهيم عن كابر، فلم تكن عندهم أدنى موافقة على ترك دين آبائهم وأجدادهم إلى التدين بهذا الدين الجديد، بل كانوا يقولون: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ} (22) [الزخرف: 22].

ورغم ذلك حرص النبي ﷺ على كل الحرص، وبذل كل الجهد حتى يخرج هؤلاء من عبادة الأوثان إلى عبادة رب الأنعام، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، حتى إن النبي ﷺ كان يسير في الأسواق يقول: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا". حتى إن الله تعالى لما رأى منه كل هذا الجهد والحزن الذي

ملأ قلبه حتى كاد يقتله الحزن لخوفه عليهم من عذاب ربهم، رَأْفَ اللّٰهِ تَعَالَى
بِهِ فَانزَلَ عَلَيْهِ: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (3)} [الشعراء: 3].
وَأَنْزَلَ: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)}
[الكهف: 6]. أَي: فَلَعَكَ قَاتِلَ نَفْسِكَ أَسَفًا وَحُزْنًا لِعَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِكَ وَبِرِسَالَتِكَ فَلَا
تَحْزَنُ كُلَّ هَذَا الْحُزْنَ {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (40)} [الرعد:
40]. ثُمَّ اسْتَمَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي دَعْوَتِهِ الَّتِي وَاجَهَ فِيهَا
صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ وَكِبْرَاءَهَا فَأَذَوْهُ أَشَدَّ إِيْذَاءً وَتَعَدَّاهُ هَذَا الْإِيْذَاءَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ p.

≈ ≈ ≈ ≈ ≈ ≈ ≈